

هكذا قال زرادشت

للفيلسوف الألماني فردريك نيتشه
ترجمة الأستاذ فليكس فارس

الرؤى والالغاز

- ١ -

وعند ما تناقل البحارة خبر وجود زارا بينهم وكان بينهم ذلك من رجل دخل السفينة معه قادمًا من الجزر السعيدة ساد الجميع شيء من القلق وباتوا يتوقعون حدثًا في وجوده ، غير أن زارا بقي يومين جامدًا تساوره أحزانه ؛ تحديق في الأنظار فلا يلتفت ؛ وتوجه إليه الأسئلة فلا يجيب . وأخيرًا أصنى لا يقال حوله متوقفاً سمع أبحاث لها خطورتها تدور على هذه السفينة القادمة من بعيد . والتجته إلى أما كن سحيقة . وما كان زارا لينفر من الأسفار . البعيدة ومن الأخطار ، وبعد أن أصنى طويلاً حلت عقدة لسانه فانطلق يقول :

— إليكم أيها الشذاذ الجريثون أيًا كنتم ، أيها المستسلمون للشرع الغدار على هائجات الأمواج

إليكم أيها المثلون بخمرة الأسرار ، المنجذبون بين خيوط الظلمات والأنوار ، إلى ثنات كل شبابة تنوح في الجاهل الخفية . إنكم تنفرون من تلمس طريقكم بيد مرنبجة على ما نصب من دليلات الجبال إذ تفضلون الإدراك بالחס على الإدراك بالاستقراء إليكم دون سواكم أوجه الخطاب لأخبر بما تجلى من ألقار وبما خطر من رؤى لأشد الناس استغراقًا في عزرائته .

لقد اجتزت النسق في أشد فتراته وجومًا . اقتحمته وقد تقلصت شفتاي وعلا وجهي الانعبار وكنت شاهدت من قبل شموسًا كثيرة تنجح إلى الغروب

رأيت أمانى طريقًا يتسلل على جروف المرتفعات ، طريقًا وعمرًا تعزى جانباه من كل نبات فدنت عليه أقدامى أحمده فاسمع صريف حصاه تحتها .

ولا بأس من أن نختتم هذا الفصل بقول الأستاذ Kerschensteiner^(١) وهو : « أننا لا نستطيع أن نحصر أغراض التربية في غرض واحد ، وكل ما هنالك أن التربية يجب أن تشمل الإبقاء على الماضي إبقاء لا يسترعيوه ولا يعمينا عن خيرات الحاضر ، ثم الوقوف على الأزمنة والبيئات والطبقات المختلفة حتى نوسع من مدى اتصال الناس بعضهم ببعض ، ثم تمدين وعو الوحشية من بينهم ، أى انتشار العقول من الأودية الظلمة ، والمواطف من الفرائز الحيوانية ، ثم غلبة الناشئين وتوجيه كل منهم إلى الطريق الذى يتفق وميوله الخاصة حتى يبلغ أقصى ما هو كفء له ، ثم غرس العادات الحسنة من غير استعباد الناشئ لها »

وبعد ، فإذا تريد أن أقول ؟ وأى الأغراض تحب أن أزجها إليك ؟

أليس من الخير أن تترك هذا الباب مفتوحًا لرجال التربية في الشرق ، كيما يدلوا فيه بأرائهم السديدة ، ويرسموا لنا تلك « النهاية الأخيرة » التى يجب أن ينشدها الشرق في تربيته على الخصوص ؟

ثم أنت ترى المعاهد في مصر كثيرة والخريجين أكثر ، فهل تستطيع أن تبين وراء تلك المعاهد « غرضًا واضحًا محدودًا » وهل تستطيع أن تلمس « الطريقة » التى يحقق بها هذا الغرض وما عسى أن يكون فيها من ضعف وقوة ؟

أحب أن تفكر في هذا قليلًا . لا ، بل كثيرًا

محمد حسن طائفا

مدرس الفلسفة بالمدراس الثانوية

(١) أنظر كتاب Thomson - A modern Philos. of Ed.



هاوية أبعد قراراً من الاشفاق لأن نظر الانسان ليذهب وهو يسر الآلام إلى أقصى مدى يبلغه عند سيرة الحياة نفسها .
إن خير ما يقتل إنما هي الشجاعة إذا هاجت ، لأنها ستوصل أخيراً إلى قتل الموت نفسه لأنها تقول في ذاتها : « يا للعجب ! أهذا ما كانت الحياة ؟ إذن لأرجعن إليها مرة أخرى » إن في مثل هذه العقيدة أشد حذاء يدفع إلى الإقدام . من له أذنان سامعتان فليسمع

— ٢ —

واستوقفت القزم قائلاً : يجب أن يبقى أحدهما وبني الآخر .
إنني أنا الأقوى لأنك لا تدرك أعماق الكار ، وما أعماها إلا فكرة لا قبل لك بإحتمالها . فارتجى القزم عن كفتي نفخ حملي ، فإذا بهذا القزم يجلس القرفصاء على حجر أمامي ، وإذا نحن نجاء باب كأنه وجد صدفة هناك فقلت لرفيقي :

أنظر إلى هذا الباب فإن له واجهتين ، وهنا ملتي مسلكين لم يبلغ إنسان أقصاها ، أحدها منحدر يمتد إلى البرية ، والآخر صرّفع يمتد إلى البرية الأخرى ، والمسلكان يتعارضان متقاطعين عند هذا الباب وقد كتب اسمه على رتاج واحد « الحين »
فقلت : أعتقد أنها القزم أن من يتوغل في إحدى هذين المسلكين يبقى معتقداً بأن اتجاه أحدهما مارض لاتجاه الآخر ؟
فقال القزم بازدراء : إن كل اتجاه على خط مستقيم إنما هو اتجاه مكذوب ، فالحقيقة منحرفة لأن الزمان نفسه خط مستدير أوله آخره .

فاجبته قائلاً : لا تستخف بالأمم أيها الروح الكفيف وإلا غادرتك فتعطب حيث أنت ، ولا تنس أنني أنا حملتك إلى الأعلى .
تفكر في « الحين » الذي نحن فيه الآن ، فإن من يابه يمتد سلك أبدي لا نهاية له متراجماً إلى الورد ، فإنما ورائنا البرية يا هذا أفا كان لزاماً على كل شيء معززة بمعرفة السير أن يجتاز هذا السلك فيما مضى ؟ أفا تحتم على كل شيء له طاقة الوصول أن يكون قد وصل فيما مضى فأنتم سيروا وعبره ؟

وإذا كان كل موجود الآن قد وجد من قبل فما هو اعتقادك في هذا الحين ؟ أفا كان لهذا الباب وجود سابق ؟
أفا ترى الأشياء كلها متداخلة ، وأن هذا « الحين » يمر

مشيت سامتاً أحاول تثبيت الحمى التطايرة بخطواتي لأنجحو من الانزلاق عليها

واعنتيت فإذا بروج الكثافة وهو عدوى الألد يشد بي إلى الأعماق ، واعنتيت أيضاً فإذا بهذا الروح المطبق على كالفزم من الناس والخلد من سكان الأوجار يسكب في أذني ودماعي كلمات ثقيلة كالرصا ص فسمته يقول لي متمهلاً هازئاً :

أى زارا أيها الحجر المدعى الحكمة ، لقد رشقت نفسك إلى ما فوق ، ولكن أى حجر ارتفع ولم يسقط عائداً إلى مصدره ؟
أى زارا أيها الحجر الحكيم النقيذ إلى الملا ليزعزع الكواكب في مدارها ما أنت إلا القاذف والقذوف معاً ، فلا بد لك من السقوط ككل حجر يرشق إلى ما فوق . لقد حكمت بالرجم فكان حركتك به على نفسك ، وهذا الحجر الذي فوقته سيرجع ساقطاً عليك

وسكت القزم طويلاً حتى ضاقت من سكوتة أنفاسي ، فالرفيق الصامت يشمرك بوحشة الانفراد أكثر مما تشعر بها وأنت وحدك لا رفيق لك

وارتقيت أيضاً وأنا تائه في تفكيري وأحلامي شاعراً بترديد الضيق في صدرى كأنني عليل نهته أضغاث أحلامه فاستفاق ليشر بأوجاعه

غير أنني أعهد بنفسى قوة أسميها شجاعة وهي القوة التي أرغمت بها كل وهن في نفسى ، بهذه الشجاعة تذرعت فصحت بالقزم قائلاً :

إن واحداً منا يجب عليه أن يتوارى

ما من قاتل كالشجاعة التي تهاجم ، وما من فيلق يتقدم إلا وفي طليعته الأتنام الحاديات

إن أوفر الحيوانات شجاعة إنما هو الانسان الذي فهر بشجاعته سائر الحيوانات وتلب على جميع الأوجاع ماشياً وراء حاديات الأتنام بالرغم من أن أوجاع الانسان أشد ما في الكون من أوجاع

وللشجاعة أيضاً فضيلة ردع الدوار المستولى على الرؤوس حين تمدق في الأعماق ، وما من موقف للانسان لا هاوية تحته وما عليه إلا أن يمدق ليرى الهاوى من أى موقف في مواقفه ، إن الشجاعة خير ما يقتل فأنها تقتل الاشفاق أيضاً ؛ وما من

الروح على وجهه وتدلّت من فيه أنفى حالكة السواد، فتساءلت عما إذا كنت رأيت قبل الآن مثل هذا الاشمزاز والشحوب على وجه من الوجوه . لعل هذا الراعي كان يغط في رقاده عندما انسلت الأنفى إلى حلقه وانشبكت فيه

وبدأت أسحب الأنفى بيدي ، ولكنني شددت عبثاً ، فسمعت من داخلي صوتاً يهيب بالراعي قائلاً : عض عليها بأسنانك ولا تني حتى تقطع رأسها ، وهكذا سمعت بهذا الهتاف أصوات رعي واشمزازى وضغيفتى وإشفاقى كأنها صوت واحد يتماهى مني

فيا أيها الشجمان المحيطون بي، أيها الشذاذ المكتشفون يامن تقتحمون مجاهل البحار مستسلمين للشرع الفدار وأنتم تسرون بالعميات والألغاز، عبروا رؤى التفرد وحلوا ما رأى من معميات وقد كن فيها ما كان وما سيكون

أى هذه الرموز يدل على ما فات وأيها يدل على ما هو آت ؟ من هو الراعي الذي اندست الأنفى في فيه ، ومن هو الإنسان الذي سيصاب بمثل هذه الداهية الدهماء ؟

على أن الراعي بدأ يشد بأسنانه منفذا ما أشرت به ، وما لبث أن ثقل دافعاً برأس الأنفى إلى بعيد ، ثم انتفض ووقف على قدميه وتبدلت هيئة الراعي فلم يعد راعياً حتى ولا إنساناً ، إذ جله الإشعاع وضحك ضحكة ماسمت حياتى مثلها

لقد سمعت يا إخواني ضحكة ليست من عالم الإنسان ولم أزل منذ ذلك الحين أحترق بشهوة لا أجد ما يطفئها . إن شهوة هذه الضحكة نهش أحشائى فكيف أرضى الموت بعد الآن

هكذا تكلم زارا

« بنج »

فليكس فارس

معهد البحوث الروحية

١٢٥ شارع فاروق بندر الجيزة

المارة الخلفية . الدور الثاني

مركز شرقي للبحث الروحي على أساس علمي صحيح .

ارجع إلينا في كل ما له علاقة بالنفس والروح . علاج مجاني

للأمراض النفسية والعصبية لعدد محدود من المرضى

وراء كل ما سيكون ، بل يحرق نفسه أيضاً ؟
أفأ يتحتم والحالة هذه على كل معزز بقوة السير أن يتدفع مرة أخرى على هذا المسلك المتجه إلى فوق ؟

أنظر إلى هذه العنكة التي تدب على مهل تحت شعاع القمر ! أنظر إلى شعاع القمر نفسه وإلى ذاتي وذاتك مجتمعتين تحت هذا الباب تهامسان بأسرار الأبد ! أفأ نمتقد أنه لا بد أن نكون وقفنا جميعاً من قبل في هذا المكان ؟

أفليس علينا أن نعود أيضاً للتدفع تكراراً على المسلك الآخر الداهب أمامنا متصاعداً مستطيلاً مروعاً ؟ أفأ لزم علينا أن نعود تكراراً وأبداً ؟

هكذا كنت أتكلّم بصوت يتزايد انخفاضه وقد أزعجتني أفكارى وما كن وراء أفكارى فإذا بي أسمع فجأة نباح كلب على مقربة منا

خيل إلى أنني سمعت مثل هذا النباح من قبل ، ورجعت بتدكارى إلى الماضي فإذا هو بمعنى هذا النباح في أبعد أيام طفولتي ويمثل لي مثل هذا الكلب الذي أراه الآن وقد وقف شمعه ومد رقبته مرتجفاً في أشد الليالي سكوتاً حيث يترامى للكلاب أيضاً أن في العالم أشباحاً

ونبه نباح الكلب إشفاقاً إذ تذكرت أنه عندما عوى منذ هنية كان القمر يطل من وراء البيت صامتاً كاللوت ؛ ومنذ هنية كان هذا القمر يستقر فوق السطح كقرص ملتهب يراود ما ليس له ، وذلك ما أثار غضب الكلب لأن الكلاب تؤمن بالسارقين والأشباح

عند ماسمت هذا النباح للمرة الثانية عاودنى الإشفاق تكراراً أين توارى القمر الآن ومعه الباب والعنكة وأحداث الناجاة ؟ أكنت في حلم فاستفتت فأنا الآن وحيد بين جرداء الصخور لاصحير لي غير شعاع القمر المنفرد في السماء

ولكنني رأيت زجلاً مسجى على الأرض وكان الكلب يقفز وقد اقشعر جلده وهو يهدر هديرأ ، وإذا رأني قادماً نحوه بدأ بالنباح فتساءلت عما إذا كنت سمعت من قبل كلباً ينبج بمثل هذا الصراخ المستغيث

والحق أن ما رأيت في ذلك المكان ما كنت رأيت مثله ، لأنني شاهدت أملّي راعياً فتياً ينتفض محتضراً ، وقد ارتسم